محمد صالح الخولاني

سيرة ذاتية.. للحزن

شعر

إهداء

إلى الذين تاهوا لم يواتهم
ظل المواعيد العصيّة الحرون
ولم تجبهم مرةً سانحةٌ مؤجله
من كل ما تكنّه القلوبُ الوجله
من دفقة الأسئلة المهيجة المهيضه
الباحثين في الركام خلف سُدّة الغمام
عن الشموس بارحت كسيفةً فلا تئوب
إلى الذين يستحيل الحزن في عيونهم
عاصفةً مريدةً شريده
عصيّةً عميّةً عفيّه
كانوا رجوه عندما يُمهل أن يكون
حزناً نبيلاً يودع القلوب ساحة السكينة
لكنما الحزن النبيل لا يجئ
إلى الذين يحملون لو تبادر الطيور تستدير
وفي حلوقها يبرعم النشيد
وتستهل موعد الصباح كي تعود
في رحلة جديدة سعيدة
إلى مشارف الوطن

سيرة ذاتية .. للحزن

لا أعرف لي تاريخاً للميلاد
لكني أذكر أني
مُذ أقصى آدم عن ملكوت الله الأعلى
مذ وسوس في أذنيه نقيب الجن
كي ينأي عن أفياء المنهلين ضياء
فتداعي يمعن في ملكوت الطين
وأنا أتناسل كالديدان وأوغل مثل النمل
وأدفق مثل المطر النازف من أفنية الريح
أنفجر كما ينفجر الموج إذا ما انداح إلى الشطآن
لا يسأم أن ترجعه الكرّة بعد الكره
طوراً لعباب الماء وطوراً لمواقيت الزبد المغرق في الترحال
أساقط مثل الغيم على أفئدة المجروحين
وأضئ شعاعاً من اقباس الألم المسرج في الظلمات
فلعل بريقاً من أصداء اللوعة يُطفأ خلف تباريح الأفئدة النار

* * *

تعدو بي اللحظة كي أنفرط سحائب منهلات صمتا
يشرب من وجع القلب ويبحر في سُدَف الليل المكظوم
منذ تناهت بي الذكرى عن حواء وآدم
حين انساحا في الكون ضياعاً ملتاثاً مرتاعا
حين انشطرا نصفين يطير النصف جنوناً نحو النصف الآخر
كقطاة ضلت عن أصداء أليف قد أقصته الريح

وعن ابني آدم حين اقتتلا
فتداعى الإثم يمد خيوط البغي الأولى
وتداعى فكرا الخلق ليبدع من أغصان الورد رماحا
ومن الأجرام المتحجرة نصالاً وسكاكين
حين انزاحت عن فطرة خلق الله براءات الأشياء
وتداعي العشق فأضحي
أوزاناً توزن ومكاييل تكال
أو صوت رنين يُرصَدُ في أصداء الدرهم والدينار
* * *
حينا أتحدر أطيافاً من وجع مُرّ
أصلاه ناراً باردة تصّاعد بي
حتى لكأني أبلغ سقف العالم
لما أبصر طفلاً يبحث عن لعبته لا يلقاها .. يبكى
يبحث عن أم غادرها
لمكان لا يدريه .. يبكى
يبحث عن سؤر حليب فى محلبته
لا يلقاه .. ينكسر ويبكى
عن سروال قد يدرأ عنه
إطلالة بردٍ مسعور يأتي من شباك مكسور
قد لا يلقاه .. يبكى
أو حين أرى وجه حبيبين أنفرطا بعد لقاء
وترامي كل لطريق مختلف ما عبراه يوما
وانصدع جدار كان يظل خُطى راعشة بالأحلام
فأظل أدور على مدرجتى تنضح بى عيناي
* * *
حيناً يتلبس معني الزور بأعراف القول المأثور
وتضيق السعة فينحل وجه الشمس لأحلاك الغسق
الديجور

ويصير الجور عدالة من تنكفئ الحكمة في أعينهم رهقا
ومرايا تطمس في أبعاد زواياها قسمات النور
ساعتها يصعد طير النار إلى أفق داج ممرور
وتغشي الروح غواش ومواجيد وتباريح
تولد في غيم شتاء عات ما واتته الريح
* * *

وكثيراً ما
تعصرني الرهبة يبلغ مني الخوف
ما يبلغ من فلاح مقهور مذعور
قد ظل يعاقر أحلام الفقراء المهضومين
حتى تنداح إليه الأرض بما يمنحه عاماً أخضر
بعد زمانٍ منهمر بالأعوام السود
لكن رجالاً من وطن عاتٍ ملعون
تأتي تنفيه إلى أودية القهر وتنزع عن رؤياه صباحاً كان
يُرَجى فيه الشمس
ينصدع الحلم . يضيع
وتصير الأرض ركاماً محتدماً بالنار
لا تقدر حتى أن تمنحه عاماً آخر
* * *

والآن إذا ما جئت لأحصي
كم من وزرفات وكم أوزار مستأنية تأتي
أعياني الحصر وعدت لأبحر في قدر عاتٍ مجهول
وعلى قدر مجهول أمضي
يقذفني الغيم إلى أرتال غيوم مترامية كسلى
حتى ينفرط العمر ولا ينفرط زمانٌ للأحزان .

فبراير 2005

رأيتني .. رأيته

رأيته
وقد سها عن الوجود حوله
وانداح فى مدارج الرياح والبراح
تقذفه ميامناً شمائلاً
وتصطفيه مرة
مواصلاً يوغل فى اندفاقة الرؤي
وتحتويه مرة
تقْصَى به عن موعد الحضور والمثول
وتعتريه مرةً
كطائفٍ من الذهول والذبول
ومرة
كمس نارٍ مستكنة رهيفة
تمور فى المغاور السحيقة العميقة
فتستحيل ساعة الأفول
وتشرق الأهلَّة المراوغة

وعندما تومض لحظة الجنون
تراود الظنون لحظة التواصل الحميم
يولد فى اندلاع لمعة الضياء
بصيص هاجس يطل من بعيد
يعيش فى الترقب المعاند المديد
وربما قد عاش حقبة من الزمن
وراء غيمة الخواطر المقنعه
وتحت ظل سادر
فى غيهب الرواحل المفزعه

* * *

رأيته
كمن يبادر الصباح للنهر
ممتطياً أسنة المدي
وحاملاً
ما يحمل الصياد عندما
يراد للمصيد أن يواقع الأسنه
ومرهفا
إذا يراد للغواص أن يسيح فى أكنة العُباب
لعله إن دار فى قيعانه

وعسَ في مواطئ اللآلئ اليتيمه
أن يستعيد كنزه المخبوء من سنين

* * *

رأيته
يطوف كلما أجنّهُ مساء
بكل وادٍ شاردٍ عبوس
يبحث عن مطالع الشموس
ويستحيل مرةً فراشه
ومرةً
مصباح ليل غال زيته السهر
ومرةً
رُبّانَ مركبٍ
تناوشت رياحَهُ غوائلُ السفر

* * *

رأيته
مغادراً ميقاته الملتاث بالظلال
وموفداً
من عتمة المساء للأهلة البعيدة
يراود النجوم والكواكب العصيه

يسأل سرها المكنون أن يبوح
بخاطر يلقيه فى معية المواصلين
فمرةً يعود بالذى أراد
ومرةً تبوء رحلة السنين
بألف ليل مطرق حزين

* * *

يفشى صداه لحنه فى نوبة الغناء
فيملأ الدروب بالفراش والسنابل
ويوسعُ الحقول فيؤه براعماً
وينقع الغليل فى تلهف الدِّما
من بعد ما أماته الظما

* * *

رأيته
يُحصى خُطى الظلام أن تسيل فى الدروب
فتنسل الأراقط الملتاثة المهيجه
تفح بالسموم والردي وبالخطر
ويرقب الكواسر التى تنوش أعين البشر
فلا يجيرهم من بأسها ترقبٌ ولا حذر
لعل يوما أن يروا شواهد النذير

فتجترى عيونهم
أن تبصر الغيوم تفترى تألق القمر
فتأخذ العيون أهبة المصاوله
وتنثني تلوذ بالرياح والمطر

* * *

رأيته
وفى يدٍ قيدٌ ينزُّ بالصديد
وفى اليد الأخرى يُبَرِعم الزّهر
ومقلتاه مقلةٌ تعانق المدي
ومقلةٌ
يفيض من دموعها نَهَر

* * *

رأيته
علامةً على الزمان والمكان
تمضى التواريخ إلى رحالها
وتختفى من خلف لمعة البروق
ويصطفى جلالَها
تتابعُ الغروب والشروق
من بعد أن تثوب من دفاترد

صدي لأحرف مهيبة عجيبه
أرادها أن تقهر الفناء بالخلود

* * *

لقيته فى ذات يوم ساعةَ الغروب
أحسست أن روحه
غريقةً فى موجة من الأسى
وأن في دروبها
تداعت الثقوبُ والندوب
سألته عن الذى أهمَه
وضيَق اتساع ساحة الرجاء
وصب لونه الكئيب فى الدماء
أجابني
وفى عيونه دبيب الانكسار
مُذ آذنت لى ربة الرؤي البريئة المشاكسة
وربة المشاهد النبية البتول
وحمَلتني سرَأن أمازح النجوم
وأن أعاقر النغم
ووزر أن أشاكس الغيوم
ولو أعيش لوعة الضنى وحرقة الألم

ومقلتاي تومضان بالذى أقول
وساعداي مجدافان ضارعان
يجالدان البحر والرياح والمطر
لكي يضئ البرق ساعة الوصول
لكنَ قوماً جئتُ استهديهم الغناء
وجئت أستدنيهم الرضا
وجئت أُقصى عن دروبهم سوافى السَموم
أدلهم على مطالع النجوم
مضوا إلى لغوٍ يمور فى الدروب
لم تولني عيونهم
وسط اندلاع الدَّهَش المعقود فى المقل
حِساً ولا أصغوا لدفق النار فى الحروف
وما اصطفوا لى من بروقى المهيجه
صوتاً ولا رغيبة ولا صدي
فأبتُ مرصوداً على شفاهي الخرس
وشارداً أبحث فى الآذان والعيون
عن لحظة جريئة بريئة
تغوى بسر النار فى الظنون

يونيه 2004

مناجاة .. للبحر

أيهـــا المـــارد الممـــدد فى الكـــو

ن ومـــن خلفـــه المـــدي مســـتريب

أيَ ســـــرٍ تقاذ فتـــــه الليـــــالى

رحلـــت فيـــك شمســـه لا تئـــوب

هـــزّ شـــوقى إليـــك حلـــم دءوب

ومضـــى بى إليـــك صـــبرٌ عنيـــدُ

وترامـــي إليـــك طفـــلٌ مهـــيجٌ

أنـــت فى ناظريـــه ســـفرٌ تليـــدُ

هأنـــا طفلـــك المـــراوغ أمضـــى

أذرع العمـــر باحثـــا عـــن وجـــودى

مـــذ تـــوليتني صـــبياً حفيـــا

وترامـيـــت فى زمـــاني البعيـــد

ذلـك الطفـل جـاء موجـاً مشـوقا

يصـطفى مـن عطـاء فيئـك موجـا

جـــاء يتلــوك صـــفحة مـــن كتـــاب

طالمــا فى مـــدي صـــدا اها تهجّـــى

ءُ وهـــو اليـــوم إذ علتـــه المقاديـــ

ـــرُ إلى ومضـــة مـــن النـــور أرجـــي

* * *

ها أنـــا أركـــب المتـــون إلى المـــا

ء لكـــي اســـتردّ عمـــرا تـــولى

مـا علـى مـركبى سـوي نـبض عمـرى

لم أجـــد لى ســـواه أحلـــى وأغلـــى

كـــي أغاديـــك بـــالهزار يُغـــني

وأفـــادي ســـفائني أن تضـــلا

وخيـــالى الـــذى يســـافر فى الريـــ

ـــح إلى شـــاطئ الظـــلال البعيـــده

يتحـــرى مجاهـــل الأرض ينـــدا

حُ إلى ســـاحة بـــراحٍ جديـــده

ربمـــا تاهـــت المجاهيـــل فى الكـــو

ن ومـــا عـــاد مـــن صـــداها مُحيّـــا

نســـختها يـــد الزمـــان والقـــت

فـــوق أســـرارها شـــعاعاً وضـــيا

غـــير أني قـــد أصـــنع الســـر يغشـــى

مـــا تـــواري عـــن أعـــيني لا أراه

كـــي أريـــق الخيـــال فى المـــاء يســـرى

لا تبـــاري مـــذاهبى منتـــهاه

أركـــب المـــوج والظـــلام وأمضـــى

فى ارتحـــالى المشـــوق خلـــف الظنـــون

كـــي أري فى تلـــهفي المـــوج يـــد نيـــ

ـــنى إلى مشـــرق الضـــياء المـــبين

وأري الـــريح فـــوق متنيـــك تعلـــو

كـــبراقٍ يجـــوب أفـــق التجلـــى

وأري مـــا تـــراوحـــت ترتجيـــه

لهفـــة الـــروح فى عـــلاك المُطـــل

* * *

هـــا هـــو الشـــاطئ المديـــد وموسيـــ

ـــقاك تشـــجيه ينتشـــى ويغـــني

وعلى تبر دالذي كان مهدا

ومرادا وموئلا للتمني

ما يزال الصبي يحبو ويحيى

لهوه المترع القديم الجميلا

يحتفي بالضياء والشمس والريح

ويستروح النسيم العليلا

رغم عدو السنين رغم اشتعال الـ

فود رغم انكسار شمس الغروب

هو ذاك ابنك الغوي إذا يلـ

ـقاك ينداح في مداك الرحيب

ثملاً بالغناء والفرح النا

شب والنور والصباح الرطيب

صب أحلامه العذاب على الما

ء وأغفى على ثراك الخصيب

رغم أن الأحلام تذوي وتمضي

حيث تمضي السنون والأيام

لكن التوق في الجوانح مازا
ل لهيباً له عليها ضرام
عجباً يوقد اللهيب من الما
ء ويهتاج في الصدور الحريق
جُنَّ عشقي القديم للشاطئ المه
راح والعمر مستثارٌ طليق
والشعاع الذي خبا في شموعي
ظامئ يرتوي بصوب العباب
يرتجي من نداك ظلا يوافي
بصدى من طيوف عهد الشباب

* * *

أيها المالئ الحنايا عطايا
هي زاد الرحيل أني تولى
هي كانت له ملاذاً ومأوي
وأماناً ومستراداً وظلا
وغداة الرحيل آذن بالعو
د إلى ساحة الرجاء المُعلّى

كنـــت أفيـــاءه وكنـــت سواقيـــ

ـــه الـــتى آب تحتـــها مســـتظلاً

* * *

يطبـــق الليـــل حـــول ســـرك تعـــدو

فى رؤاك المشـــاهد المســـتحيله

والجـــلال الصـــموت يلقـــى علـــى سمــ

ـــع المســـافات مســـتهلاً فصـــوله

وتمـــادى العصـــور يـــروى ويفضـــى

بالأســـاطير تســـتثير الخيـــالا

ألـــف أقصوصـــةٍ وألـــف نشـــيدٍ

يطـــرب الليـــل حولهـــا أن تقـــالا

فيـــك مـــا فيـــك مـــن متـــون تمـــادت

تبـــهر القلـــب فى ســـخاءٍ عجيـــب

تـــوقظ الســـحر والتـــهاويل والأســـ

ـــمار تنتـــال مـــن خيـــال خصـــيب

تســـمر الجـــنّ فى ممالـــك تغـــوى

فى مـــدي عشـــقها الظنـــون الحيـــارى

ويرى فوق متنك الإنسُ يبنون

فيعلون كل ليلٍ مدارا

لم يغادرك ذو تصاريف إلا

كلَّ من دونك الخبير البصير

والأعاجيب ما تحامتك إلا

صار من أمرها إليك المصير

صبَّك الله في البراح براحاً

للعطايا وموئلاً للعُفاة

ملءُ كفيك من كنوزك فيضٌ

يسع الخلق منذ فجر الحياة

تتهادى موائد الله للخلق

فيغنون غبطةً وامتلاء

مستحيلٌ لو مر يوم وباءوا

بمواعيد تفتريهم خواء

تستمدُّ العطاء من كرم اللـ

ـه ومن فيضه الغنىَ المواتي

لـــيس تخـــوى خـــزائن الله يومـــا
والـــذى يُرتجـــي بنعمـــاك آت

* * *

يـــا لـــه مـــن صـــدىً بهـــيجٍ مهـــيجٍ
بالأمـــاني وبالرغـــاب العـــذاب
للأغـــاني وللصـــباح المُرجـــى
والرجـــال الملقـــين فـــوق العبـــاب
يشـــرق الفجـــر تســـتحيل المراســـى
قِبلـــةً للرجـــاء والأمنيـــات
قـــد يُجـــذب الحيـــاة مـــن المـــاء
فيرتـــد مـــثقلاً بالحيـــاة
ترتجيـــه ضـــراعةٌ فى عيـــونٍ
ودعـــاءُ مثـــل ابتـــهال الصـــلاة

* * *

عجبـــاً ذلـــك الحلـــيم الســـاجي
قـــد تـــرى فيـــه فـــورة مـــن هيـــاج

حين تغوى غوائل النار فيه

بالذى يستكنّ خلف الدياجي

حين تنداح فى الأعاصير نارٌ

ويجوب المدي عويل الرياح

ويطير النذير فى كل أفقٍ

فائر الخطو مستثار الجناح

تكشر الأرض والسماء كما يكـ

شر ليث مُهَيَّج فى الصحاري

ويمور العبابُ والرعد والبر

قُ وتستوقد المواقيت ناراً

صولةٌ فى المدار يشعلها المو

ج وميثاق حكمةٍ وابتلاء

يصل الأرض بالسماء ويتلو

سورة سُطِّرت بسفر القضاء

* * *

وأنا فى البراح ما زال يغشا

نى جلال الوجود فى سبحاته

ذلك المعبد المهيب ألاقى

نبض روحي يهيم فى صلواته

وأري لحنه المجنح يسرى

فى وجودي يهزّه فى سباته

ينفض الغيم عن رؤاه ويصحو

منصتاً للجلال فى أغنياته

يونيه 2004

مغامرة

من ذا الذى يعاود النداء
ليوقظ الحنين الهاجع الخبئ فى الدماء
ما هذه الهواتف الملحاح تعتلى
قبة ليل مذعن صموت
لتدعو المعاكس المشاكس القديم
ليستعيد قصة اندفاعه إلى مرابع النجوم

* * *

كنت ارتميت فى الظلام كي يجيرني
وكي يخبئ الرواحل المثقلة المتون بالجنون
لما التوت برحلتي وكنت فى منتصف الطريق
عتائم القتام والغمام
وحذرتني إن أنا مضيت فى المصاوله
أن تلتوي بى للمدائن المخرّبه
وللصدى
فى الساحة العتيمة المغتربه

يصيح لا إياب لا إياب لا إياب

* * *

أقلت إن طوفى المديد كان أهبتى إلى السفر؟
أم قلت إن ساعدي أشرعا
لكي أخوض فى الزحام
أم إن أعيني التى كانت تعس فى المدي
كانت أحدَّ من ثواقب الطيور عندما تفيض للرحيل
وأعمق ارتماء فى مدي الرؤي
من سانح يربو على المتاح
ومن تدافع الرياح فى البراح
لعلني فعلت غير أنني
ما إن بلغت فى المدي منتصف الطريق
حتى غوي من حولى الطوفان والحريق
فعدت يستغشى طريقى الخور
وتعقل الرياحَ فى أعنتى مواسمُ الجفاف

* * *

والآن أستميحكم لأنني بشر
لا طوق لى أني أجالد القدر
إذا نبتْ بى قدرة على المطاوله

وضيق الدروب فى خطاي ليلى العتيم

* * *

وعندما استدرت كي أهمَّ بالمسير
رأيتني كأنما أصيخ للنذير
يقول لى ..
الآن بارح ساحة المكابرة
وعد إلى ضلالك القديم
يأيها الملتاث بالمغامرة

يونيه 2004

ممثل رديء

- إلى سلطان العالم الجديد -

بدّل أوراق اللعبة كل مساء
واستخدم كل فنون المحتالين على الأشياء
واستخف وراء تداعي الفرية في ألسنة الكذابين
خبئ قسماتك في الأقنعة وبدّل كل مساءٍ وجها
حتى تبدو مقنعة مرضياً عنها
قفزاتك فوق المسرح وموازين خُطاك المتعثرة المرتجله
فلعلك توهم من ينداح أمامك من جمهور
يبدو مرتاباً فيك وفي قدرتك على الإقناع
بمشاعر صدق لا يقرؤها في عينيك

* * *

مذ بدأ العرض ومذ بدأ النظارة يحتشدون
ورداءةُ نصِّك تمسخ وجه العرض وتوغل في الآذان وملء
الأعين

يحشوها أقذاء وملحاً وركاكه
لم تحسن صوغ كتابك فى الملهاه
هل كانت ملهاة حقا ؟
أم كانت تجربة حيرى
تتخبط فى ليل المأساه ؟
أم كانت مسخاً ممجوجا سمجاً
يتراوح بين تعاط مملولٍ معلول
لتدني الفكرة فى الحالين السوء ؟

* * *

كان النظارة منذ بداية عرضك ممتلئين وثوقا
أنك مجترئاً جئت من الباب الخلفى الممعن فى الأوهام
والمغرق فى الأحلام وفى وعد القلب المكذوب
توهم أنك حين تباشر دور البطل الأسطورى
ستبادر مستبقا حذقا
يتلاعب بالأنظار وبالأفكار
لما تتداعي تملأ أعطاف الجمهور عطايا
تتقطر فى أعينهم سحراً وليا ليهم بُهرا

فإذا بخطاك على أبهاء المسرح توحي
بتهالك فنك واستخذاء أدائك واستغماء رؤاك
وتحيل وجوه العرض وصمت القاعة وأحاسيس المشدوهين
حفراً وثقوباً وأخاديد وشوكاً

* * *

قد كنت قبيل العرض تعاقر أخيلة حمقاء غبية
أن النظارة سيلاقونك بالإعجاب وبالدهش المجنون
وبأيد سوف ترش العطر على فوديك
وتقطر نفح الطيب على توقيع خطاك
لكن طاشت أخيلتك وتولتك غوايات الوعد المكذوب
فهويت كطائر ليلٍ ما واتته الريح
تتخبط فى القيعان لتذروك القيعان رماداً

* * *

والآن فعُد عن غيك يا أحجية المخدوعين
وامنح ساقيك براءة أن تستبق الريح
وتخير لطموح نزقٍ مملول
أقنعة قد تدنيك إلى قدرٍ يتواءم لك
وابحث فى المسرح عن باب صدئ مخبوء
كيما تتحاشى الصفع وقذف البيض الفاسد واللعنات

وتداعي النقمة فى النظرات المحنقة المنداحة غلاً
واسترزق بين عباد الله الحمقى
المطروحين على ساحات الغفلة والنسيان
فلعلك يوماً
أن تغدو فى جوق غناءٍ شعبى
طبالاً أو زماراً أو حامل طوق خشبى
تتداعي كي تتلتقط لقمة عيشك
عبر عطايا أهل المعروف المنداحين على قارعة زمانٍ سوء

يوليو 2004

العصافير استدارت لتعود

" إلى المجاهد الفلسطيني البطل مروان البرغوثي،

العصافير التى أطلقتها
من تماثيل الشخوص الحجرية
وتراميت بها عبر المدي
هجرة خلف تضاريس الوطن
تتحامي النذر الملقاة فى أكنافها
لو تواتيها بما يعقل أشواق الجناح
عن ضُحى يهفو إلى الشدو ويصبو للأغاني
العصافير التى ربيتها
لتكون الظلُ ينهل على حر الصحاري
حينما تأتيك من خلف الشموس المطفأة
تحمل الضوء الذى يشعل فى الأفق ملايين الشموس

* * *

العصافير أفاضت للمواقيت البعيدة
يتحرين بزوغ الشفق الآتي مع الصبح القريب

ويقاسمن الشروق الواعد الوافد من ليل التداعي
لحظات الانتظار

* * *

ها هي الصورة تنهل بأطياف المرايا
أنت فى القيد طليق
وابتسام العاشق الواثق عطر فى الحنايا
وحواليك الأفاعي
رغم دفق السم فى أعطافها
يستحيل الفزع المخبوء فى أعينها
فو ـة ملتاثة الروح بأوزار الجنون

* * *

قبضتاك القيد أغوي بهما
فبدا فى اللحظة الموصولة الروح بأشواق التداني
كسوارين لكسرى
أو كطوقين من الفل تناهي
وتباهي فى شذاه المعصمان
أنبت القيد على متنهما
عزة ما شاءها

صانع القيد الذى يبغيه ذلا وانكسارا

* * *

أيها الوافد إعصارا وناراً واشتجارا
من وراء العتمة الملقاة فى الليل المديد
تسبق الشمس إلى أفق التجلى
وتبادي مقلة الأرض بألوان الحقول
وبنضح العطر مطروحاً على غيم السنين
موفداً للشفق المنداح من فجر جديد
عش كما شاءك فى قيدك شيطانٌ مريد
فالعصافير التى أنبتَ فى أحداقها
فجرك المزهو ينهل بأصداء الغناء
وبألوان السنابل
وبدفق العطرِ يروى عن أحاديث الورود
خلفت أكنانها
فى منافى المعقل النائى البعيد
وتولت رحلة العمر إلى قلب الوطن
العصافير استدارت .. لتعود

يوليو 2004

رسالة .. إلى رُبى

"ابنة المجاهد البطل مروان البرغوثي
وأخوها قسام معتقل في زنازين الصهاينة"

قاســـم المجـــد أمـــه وأبـــاه
ومضـــى تســـبق الريـــاح خطـــاه
يـــا رُبى حـــدثي مـــتى صـــار نجمـــاً
وهـــو مـــازال مســـتهلاً صـــباه
حـــدثي والفـــتى إزاء عـــدوٍ
لا يبـــالي بســـخطه أو رضـــاه
كيـــف قســـام بـــادروه بليـــلٍ
كيـــف هـــذا الصـــبيُ يخشـــى أذاه
مزقـــوا كتبـــه وداســـوا عليهـــا
وتمـــادوا فحطمـــوا مقتنـــاه
أي ضـــير يـــزري بهـــم مـــن غريـــر
ســـاحة الـــدرس بيتـــه .. منتـــداه

ألأن الأب الجسور عنيد

حوصرت روحه وغلت يداه

أم لأن الفتيان في الوطن الحر

إذا يبتلى ويضرى أساه

في المواعيد يولدون رجالاً

تشمخ الكبرياء . تعلو الجباه

ويصيرون كالأعاصير ناراً

حين يُفدَى المدي ويُحمى حماه

حدثي ياربي ففي كل دربٍ

فتيةٌ يفتدون حلماً رآه

يوليه 2004

مواقيت من عام الرمادة

ما مر عام ليس فى العراق جوع

"بدر شاكر السياب"

* * *

مولاي الجوع

أفئ إليك من الأرض الموصدة المرجومة بالأقوال

ومن المنفى المسكون بأوجاع الزمن المعتل

ومن الساحات المتكئات على ناصية الموت

أتلو آياتك توحى من ملكوت النقمة وسماوات العجز ومن

أعراف الوهن الموغل فى الأحداق

مولاى ومن سكرات الجرح ودفق اللوثة فى اللغة العجماء

مولاى تواتر وسمك فى أفواه المكظومين

وتمادي رسمك ظلُ الموت على قسمات المكلومين

من كم عامٍ

تتقافز فوق دروب المطروحين عياء واستخذاء

الملتاثين بلوثة ريحٍ مستغربة ظمأى

وعلى شهقات الجرح النافر من أزمنة الخوف

وعلى الملقين عرايا فى فلوات التيه

مولاى أعيذ خطاك إذا ما انجرفت كالطوفان
أن تمهل من أعنته الجوع ليحيا عاما أو عامين
بادر بقضائك أن يعجله رحمي
واستدن إلى عافية الموت خطاه نُعمي
مولاى فما أقساه قدراً
أن يلقى ربَّ الناس الموسومون جياعا

* * *

أو تذكر يا مولاى الجوع
عفواً .. قد كان زماناً
لا يسعف مثلك أن يذكره فى التقويم
لا يمثل فى ذاكرتك يا مولاى
زمنٌ يغني بالنعمة يثقل وجه الأرض عطايا
كنا نبتاع بدينار خمسة حملان
وبنصف الدرهم حتى لو تغلو الأقوات
كيساً من برّ أو كيسين شعيرا
كنا ننساح صباحاً نوغل فى أسواق البصرة
ونجوس ضحاها نغشاها
ننداح على إيقاع الحركة فيها
قيساريات الموصل

ونماسى خطط الباعة عصرا فى بغداد
فتراها تغوي مثقلة بفيوض الله
تتواصل بالأرزاق وتوسع آمال العافين رجاء
وغداة غدٍ نلقى أكداساً منها
ملقاةً فى الأرباض وخلف تضاريس الأبعاد
من كثرة ما ينتفش الخير ويربو عن مؤنة أهل العمران

* * *

كنا نتسامع عن بلدان يُضرم فيها الجوع
ويمور الأفق سحائب مشتعلات قيظا
تتشقق فيها الأرض ولا تنهلُ سَماء
لا يُجْنى ثمر .. لا تربو شهباءُ ولود
ويموت الناس جياعاً فى الطرقات
كنا نحسبها ضرباً من تأويل خيال
أو عرضاً من نافلة القول أو استرداداً لأساطير قديمة
حتى باغتنا صوبُ المحنة صرنا غرضاً فى دائرة النار
وغدونا قصة ناس يحصى فيها الموت
آلاف القتلى كل صباح
ما قتلتهَم
عادية الأيام السود

وتداعي عاصفة النار الهوجاء
منذ انهدت أركان المعبد فى نيسان
بل قتلتهم غاشية الأرض العطشى
فى بلد كان يُنادي منذ الحقب الأول
باسم بلاد النهرين

* * *

كنا إن تضُر الغمة نرجُ الله لكي يمنحنا
فى كنف الرحمة نافلة من فئ الصبر
لكنا عدنا
ودروب الصبر بدت أحجية ظمأي
فى خارطة عمياءَ كليله
كحكاية يوم انداح ولى الله لموسى
لما قد حان الحين لأن يفترقا
حين تهاوي
بنيان الصبر وأوهي العزمة ظلٌ ليس يطاق
فامنحنا يسر الأوبة للدرب الممنوع
وأرحنا شدَّ خطانا
يا مولاى الجوع

سبتمبر 2004

ماذا تبقى من معاقلنا

بين احتدام النار والإعصار والدهش المزلزل والإفاقة
والنعاس
ودوي قارعة تجَنُّ ورعب ضارعة تقاسى
وتدافع الحدث الجليل يمور ما بين الأصائل والأماسى
والمشهد المكرور ينتهب المدى
ينزو دماً قيحاً صديداً أنفساً تردى سُدى
تتراكض الأنباء ذاهلة على وقع الصدى
وُتبعثِر الأوهام ما بين الترقب والجنون
تغشى الفرائس غاشيات الموت إن لاح الرَّدى
فتموت قبل الموت ذاهلة الظنون
من دون حانية تحنُّ ودون مشفقة تواسى
إني أكاد أرى الرياح الهوج تقتلع الرواسي
وتهيل فوق ركامها
شعلاً تلظى بالأراجيف الجديدة
ما لم نطأطئ هامة التاريخ نستوطيه قسرا
بالقاف أو بالكاف أو بهما معا

لا فرق ما دام الهوي

لا ينثنى حتى يهم فيرجعا

ما لم نعد طوعا لخارطة الطريق المستبدة

نلوي أعنتنا لنرحل للمدي المرصود للزمن الجديد

كثرت خرائطهم وضاق بها العدد

ولكل خارطة طريق مستبد

هل نحن قادرة خُطانا بعد أن ترضى بقاعدة الرهان

ونزيح طوعاً عن كواهلنا

ميراثنا المرصود فى رئة التراب الحي ننشقة حياة ؟

هل نحن قادرة رؤانا بعدُ أن نحيا بلا

أورادنا اللاتي طفقن يجُلن عبر الأزمنة

يقرئننا القرآن متلواً بألسنة السنين

وينرن أبهاء العتامة فى صدور المخبتين

هل نحن قادرة دمانا بعد أن تنداح فى الجسد القتيل

علالةً أو فيض روح ؟

هل نحن محتملون أن نلوي على إيقاع غاشية تجئ ولا

تروح ؟

من بعد أزمنة تراوح دونها شرف جموع

شتان يا طوفان ما بين السحائب والسفوح

* * *

ها نحن نستبق الخطى
لنلم أشتات المدائن نفترى فى كل يوم ألف ميثاق جديد
لنبرئ الطوفان من دم أمهات المؤمنين
ونبيح ما قد صار من دمنا
لقذائف المارينز تنهل منه ما يروى صداها
ولربما صرنا إلى يوم تعبدنا المواثيق الجديدة
تضرى بنا
لنعود صابئة بدين الخوف ينحلنا عبيداً للظنون
أوليس يمكن أن يصير الخوف آلهة تناجز بالوعيد
وتغل أفئدة الخلائق بالضرام وبالحديد
ولربما ضلت مقاصدنا وحاق بنا البدد
لنقول للطاغوت لو يضرى بنا
أحدٌ أحد

* * *

ها نحن والفتن الرزايا
وذرائع الكيد المذلَ على صعيد
وعلى قباب المشرق المنكود يُضرى النار أبرهة الجديد
أفياله داست معاقلنا وطوّحت المآذن
واستباحت خيلة العتبات بعثرت اللحود

أرأيتمو ما صار للنجف المهيض وكربلاء المثخنة ؟
ما صار للقرآن يتلى فى المحاريب البتول المؤمنه
مثوي الكرام الأولياء الأنقياء الأصفياء
ومنائر الحق المطاول للسماء
ما ارتجت الدنيا بصارخة تبادر بالنكير
ما أشعلت نارُوما انداح الصدي
يدني إلينا من بقاياها بقايا
تنبى بأن دماً تخثر فى الحنايا
عند انهمار النار يوشك أن يفور
سكنت جوارحنا وما عادت تدق قلوبنا
إلا بإيقاع العتامة والقتامة والسآمة والخدر
وعلا النذيرُ يدق فى أسماعنا
يأيها المدنون من قدرٍ يباغت لا مفر

* * *

ماذا تبقى من معاقلنا ؟
لم يبق إلا أن نباغت ساعة
بالكعبة الغراء تدهسها خيول الفاتحين
والمسجد النبوى يهوي ضارعاً
تحت السنابك مثخناً بالإفك مرمياً بزور المفترين

مرّا بصحن الجامع الأموي موصول المدىَ
بمآذن الزيتونة الخضراء جاثية بظل القيروان
ليكون آخرة المطاف الأزهر المعمور مصلوباً على باب
الفتوح
وحياله مليون نائحة تنوح
أو ليس يمكن أن يُصار لمثل هذا الهول مُنداح المدي
لو أن سيدَ ذلك الكون الجديد المفتدى
سكرت به الأوهام أو طافت به سِنةٌ من الأحلام أو مسته
غاشية الجنون
من ذا الذى فى يوم إعصار كظيم
يقوي على أن يتقى بوجهه ريح السموم
وقد تساوي تحت حد النار طائرٌ مهيض
وطائرٌ ذو مدد مطاولٍ عريض

* * *

يا سادة فى الشرق إن ما زال للشرف المذمم فى جوانحكم
بقايا
أو كان فِي أحنائكم
من ذخر ماضيكم ظلالٌ من وصايا
قوموا إلى أسفاركم فلتقرءوها

وتمثلوا التاريخ عل رحالكم
يوماً تبوء لساحة الألق المبين
فإذا رأيتم من مقاعدكم رهاناً لا لتصاق اللحم بالكرسي
والأقدام بالقيد الحديد
وإذا رأيتم في عيون البعض ظلاًّ من تهاويل الصديد
حتى يفاخر بالعمي والقسر ميراث الجدود
قوموا إلى أكفانكم فاستحضروها
فالموعد المحتوم جاء
ونهار أن سيقت إلى ثيرانها البيضاء ألسنة المُدَى
ها قد أهل وها هي النيران تشعل في المدى
حان النهار. أحدّت الغيلان أنياباً وأضراساً وجوعاً
فتهيأوا للذبح يحصدكم جميعا
حُمَّ القضاء وأوشك التاريخ يحصيكم دموعا

ديسمبر 2004

النــــار والرمــاد

قبل أن ترحل عني
قبل أن أرحل عنك
قبل أن ينسدل الليل على وقع خُطانا
وكلانا
لائذ بالصمت لا يقدر أن يُنهي مأساة التنائى
يتواري بأساه فى طريق
لا صدى يؤنس دنياه ولا همس رفيق
غير أوراق خريفٍ تتهاوي فى حريق

* * *

قبل أن نغدو وذكرى سفر
بطريقين سدى ما التقيا
وسدى ما ارتحلا صوب قمر
وسدي ما انسكبا عند نهر
وكلانا
خلف حفنيه تواري مدمع

في مداد
عرف الحزن طريقه
أطفأت بارقة الشك بريقه
من يرانا
ليس يدرى أينا
قطع الرحلة إفكاً ومداجاه وزيفا
أو تدلى من براءات الحقيقة

* * *

قبل أن يوأد في القنديل ظلٌ من شعاع
أو صدى من خفقة الريح على متن الشراع
رُدَّ لى الدنيا التى أهدرت فيها عمرى
ردَّ لى الليل الذى ضيعت فيه سهرى
ردَّ أنغامي التى عذبت فيها وترى
وصدي حلمي الذى صُغت تهاويمي إليه
من خيال نزق مرتعش
حلقت فيه تصاوير رشيقاتٌ أنيقة
ورؤي يحتال فيها الوهم كي يلمس أطراف الحقيقة
عندما كان لهيب الشوق يذروني شظايا
وانداياحي في مدي السكرة ينسيني هدايا

رد لى نجواي عبر الليل والأكوان تنداح سكونا
أقرأ العشق مع العشاق أوراداً وأتلوه متونا
وأغاديه احتفاءً واحتواءً وجنوناً

* * *

لم أكن أعرف أن العشق فى عطفيك آيات كذوب
وسرابٌ خادعٌ فى الظل يذوي ويذوب
وإذا بى
تفتريني السنة العجفاء لا تنهلُ يوما بحصاد
وإذا بى
لست أجنى من حصاد النار إلا ملء كفٍ من رماد

* * *

أيها الراحل تقضى
فى دمي الحر قضاءك
إمض فى الغيم ولا تنظر وراءك
هي أوهام خيال بائس
فى جفاف النهر أن يورد ماءك
لا تُعد لي الآن ما ضيعته
واطو عني فى ثنايا ردائك
هو ذرٌ من هباء ضائع

ليس يجديني إذا أعطي هباءك
خله عندك دينا مثقلاً
بخطاياك سعيراً يتنامي
عل يوماً تستحيل النار فى جنبيك برداً وسلاماً
حينما تدرك للأشواق معني يتسامي
بعطاء الحب فى نجوي ليالى العاشقين

ديسمبر 2004

غوايه

أغـــوانى الشـــعر يومـــاً أن أعابثـــه
وأن أدور بـــــه فى حومـــــة الأدب
فمـــا وجــدت قريضـــا أســتهلّ بـــه
إلا بشـــعر مـــن الأشـــواق منســـكب
ومـــا رأيـــت حـــديثاً معجبـــاً نزقـــاً
إلا حـــديث هـــوي بالنـــار ملتـــهب
مضـــيت أقـــرأ شـــعراً لـــلأولى كتبـــوا
فى موكـب العشـق أسـفاراً مـن الكتـب
شـــعراً حميـــاه دارت بى ودرت بهـــا
هيهـات مـا يرتجـي فى التمـر والعنـب
لا أرتجـي صـحبة تـدني المواجـد لى
إلا تـــداعي لى العشـــاق عـــن كَثَـــب
قـــيسَ وليلـــى ولـــبني والـــذين مضـــوا
فى هيكل الحب ذكرى والزمـان صبى
أغـواني الشـعر فانـداحت غوايتـه
كأنمـــا ارتحـــل الفـــردوس يوغـــل بى
يمضـــى بمـــا أرهـــف العشـــاق يعزفـــه
لحنـــاً يطـــير بـــه للعـــالم الرَحـــب

الحب هذا الذى صيغت ملاحمه
من الضياء وما فى الشمس من ذهب
نعماه ميثاق زلفى جل موثقه
رَوْحاً من الصدق لا بَوْحاً من الكذب
لا يفتريه سُدى ما لا يطاوله
من ادعاء ومن زور ومن صخب
تدمي القلوب به لو مال مائلها
وقد دنوتُ فلم أسلم من العطب
أضاء لى نجمه فى الليل حين بدا
فرحت أبحث عن دنياه فى كتبى
وجدتها عجباً يفضى إلى عجب
ورحلة فى دمي تضرى بلا سبب
من غير ما علة أحسست طائفها
يدب مثل دبيب النار فى الحطب
لكنها والهوي نارٌ مقدسة
تحيا كما تولد الأنواء فى السحب
لا ذلك المسخ يزرى بالحياة وما
ينبى عن الصدق يوماً والزمان غبى

* * *

يأيها العشق كيف النار تحرقنا

فنشتهي في لظاها حرقة التعب

يا أيها الحب طافت بالمدي شعل

من الجحيم ولفحُ النار بالشهب

هلاَّ مددت يداً للنار تطفئها

حتى يصار من الترهيب للرغب

أغدق على الكون أنداء الصباح وطر

إذا تداجت سماء الليل بالكرب

فما سواك رسول حل في حلك

إلا مضى بسني في الليل منسرب

وما تداعيت بالبشرى تطوف بها

إلا تداعي بأشواق الحياة نبي

فبراير 2005

ليلى

ليلى ولا كل ليلى   شهباء أغلى وأحلى
لو قلت بدر منير   لقلت حاشا وكلا
أو قلت غيمة عطر   لقلت ما زدت فضلا
ما في المقال جديد   يغني جمالاً ودلا
فالبدر عارض فن   يلوح صبح فيبلى
ما عاد في البدر حسن   إذا بليل أطلا
أماته الشعر طرقا   على حديد فملاً
من عهد آدم حتى   أتوه صخراً ورملا
والعطر مغني ربيع   يرى سدي مضمحلاً
لو داهمته الليالى   تغشاه فصلاً ففصلاً
بل تلك نسمة فجر   والصبح مازال طفلا
وتلك رعشة قلب   ما هزه الوجد قبلا
وافته في يوم عيد   فقال أهلاً وسهلا
وتلك دنيا عبير   زكت وروداً وفلا

وتلك من صوب عدن طيف دنا فتدلى
وموعدٌ للتلاقى بين العُلا والمعلَّى
طائية لو أبرت تغنيك قرباً ووصلا
على عفافٍ ودين تبديه قولاً وفعلا
يا ذوب أشواق عمرٍ يرجو رحابك نزلاً
كم من عذارى غيارى برغم حسنٍ تجلى
أقبلن حوراً فلما أهللتِ أمسين ظلا
ذهبت بالحسن لولاً فى جنة الله يتلى
عن قاصرات وعين وعن طرائق مثلى
يا رحلة للخيال من خلف حلم تولى
من أجل من فى الليالى أبوك سماك ليلى

اغسطس 2005

ناسكٌ .. بلا صومعة

ناسكٌ في ظل محرابي حيالى
تلمع الأقباس من فيض ارتعاشات المرايا
يتبارى فيَ جهد المسغبين المتعبين
واعتناق الوجد يصبو
لمقامات التداني
ويماشى رحلة الأشواق من خلف دروب العاشقين
يترامى بى دعائى
وتراتيل غنائى
وصلاتي وخشوعي
وتباريح دموعي
وارتحالى
فى المدي المكظوم أنسلُ بدائى
وانداياح العشق ينهل من القلب الصديع
نحو آفاق انعطافات الرضا
لو يواتيني الرضا رغم الخطايا

وانهمار الإثم يعدو
خلف أوزار خُطايا
غير أني فى فضاء الله أمضى
ليس تؤويني ظلالٌ وارفات مشرعه
أو تعاريش حنايا
باسقات مترعة
ليس تدنيني من الورد المصفى
هدأة فى الليل يغشاني سكون الصومعه
وارتعاشات خيال جامح
فيه أعراف المني مجتمعه
فأنا فى وقدة الشمس ورمضاء الهجير
فى انعطاف الظلمة المرخاة فى الليل الضرير
سائح يرتادنى القيظ وتغشاني تهاويل المطر
ويُمارى بى سحابُ الصيف أصداء غيوم فى الشتاء
مخبتٌ راض بما يقسم لى
ليس يغرينى إذا ينصب حولى الماء من كل سحابة
أو تماسيني صبابات الهوي المعسول أوليها صبابه
أو تميلَ النظرة البتراءُ بى
عن وجوه المتعبين الغرباء
وأنا

لست ممن يشتريه النزق المرصود يستنفر في الأمنيات
لست ممن تورق الأضواء في عينيه برقا وظلالا
وأنا
لا يواتيني ضمير الناسك الملقى على فيض الرجاء
أن أرى من خلف زيف الأقنعة
وجموحُ الرغبة العجلى إلى ما تشتهي
لا يواتيني فضاء الكون أن أنساح للكون معه
بغوايات الجنون المشرعه
واستباقات المتون الأربعة
همة النسر إلى آفاقه
وانفلات الريح كي تحدث خرقا في السماء
وهبوب يطعم النار شأبيب لظاها
وهوى يوغل حتى يرتوي
عطش النار وعصف الزوبعه
وأنا
ليس يعنيني بريق مستعارٌ كاذب
من سنىً في أي أفقٍ وضعه
وإلى أي سماءٍ رفعه
وإلى كم فرسخ مشتعل
بالمطايا سار في الدرب معه

وأنا القابع فى محرابه
وحوالىّ المني ملتمعه
وأمامي سورة الفتح لها
فى ضميرى موعدٌ للواصلين

أغسطس 2005

تداعيات ليلة مسهدة

"1"

صياد فى بحر ميت

وأنا أبحث عن أصداء نجوم غائرة فى جوف الليل
أتسلل أنقب خلف جدار العتمة عن ظل عار مهزول
فلعلى أحظي بشعاع قد يوسع لى
فى الدرب الكابى حين أماشيه فى بقعة ضوء
كنت كصياد يلقى آلته فى بحر ميت
لا يظفر منه
إلا بالملح المعقود دمي ومسوخاً وتماثيل
كنت كمن ينداح ينادي قوماً صما
ويسائل عن ضلته المستخفية سماوات عجماء كليله
ويبادر بإشارات اللغة المستعجمة تماثيل جليد خرساء

طوفت أسائل ضوء الشمس وموج البحر وعاصفة الريح الهوجاء

هل جدَ جديد في ملكوت الله يبدل قانون الأشياء ؟

هل صار الصيف خريفاً بعدُ وأضحي الماء جليداً في قلب الرمضاء ؟

ما بالى الآن إذن تعصرني الريبة فيما ألحظ في شتي الأنحاء

يتبدل فيها الناموس العلوى صنائع يغويها الطبع البشرى

فيعود نقى الأشياء بثوراً في رائعه الكون

ويحول الضوء فيغدو زلفاً من أعراضٍ داجية ظلماء

* * *

باءت راحلتي حين رحلتُ بعود مكلوم مكظوم

بمدي خطوات المنكفئين على الطرقات ضياعا

والمرتدين إلى أبهاء الصمت جياعا

من بعد مآدب ليس تقام سوي لذئاب الليل وجرذان السنة العجفاء

* * *

"2"

شمس لا تئوب

وبعد ما غفوت أرتجي لدي النعاس مهربا
صحوت وارتجيت صوب الشمس أن ينيلني
بعض الذى رجوت فى أحلامي البريئة
فى جدة الرؤي المضيئة الجريئة
قلت لعل الليل حين راح ماد هيكل الظلام
قلت لعل الشمس حين تلتقى بوجه مشرق جديد
تئوب لى
بوجهها الذى وددت لو يئوب
لكن صوب الشمس تاه فى الزحام
ومدّ لى سوافى القتام والغمام
فما رأيت غير سحنة المرايا الصدئة
وصولة الخطى العتيمة المجترئة

"3"

يا رفقة الليل

كفوا أحاديثكم عني وعن سفرى

فى الليل أمضى بلا نجم ولا قمر

يلفنى الغيم والإعصارُ تملؤني

سحائب النار بالعيد الذى انطفأ

بما رأيتُ وما ليلى المهيض رأي

ذروا أحاديثيَ الخرساء عن سهرى

عن انسياحي مع الأنواء والمطر

أغوي بحلم عصى ماله وطنُ

وماله فى ارتحال هده زمنُ

يا من تفيضون حولى باللهاث وما

تدرون كم محنة جدت على أثرى

أنا المهيض الذى ذابت حشاشته

علـــى خطـــي الليـــل في الترحـــال والســـفر
مـــا غـــاب عـــن حلمـــه طيـــف ومـــا انطفـــأت
في عينــــه شـــعلٌ تغـــوي بهـــا شُـــعَلُ
مضـــى بهـــا حـــاملاً وقـــرا يعذبـــه
يحـــدو خطـــاه الرجـــاء المـــرُّ والأمـــل
ومالــــه في ترامـــي الحادثـــات يـــد
ومـــا لــــه عنـــدها طـــوقٌ ولا جلـــدُ
كفـــوا أحـــاديثكم عـــني فلســـت ســـوى
صـــدى لأغنيـــة خرســـاء ترتعـــد
يـــا رفقـــة الليـــل والأصـــداء حائلـــة
يغـــوي بهـــا التيـــه والترحـــال والبـــدد

"4"

مشهد تليفزيوني

أتفرج كل مساء بالتلفاز
وأشاهد فيما يروى عجبا
أتنقل بين فضائيات الكون حريصا
أن أتلمس نبض الفكر وفيض العقل وفئ القلب المترع
بالأشواق
تبصر عيناي رجالاً
يلتمعون ويبتدعون وينتفعون
كل يتحدث عن أعوام تقدم ممتلئات شحما
ومدي أزمان تأتي مكتنزات لحما
وعوالم موعودات بسماوات تهمي شهدا
وبحار تجرى باللبن المعقود على شاطئها زبدا
وعرائش مثقلة بالفئ الناضح من دنياها وعدا
وعن الترحال إلى آماد مستعلية بالحرية
تتسع فتسرى خلف صدور الخلق نسيما رحبا
فيضا يندي من ملكوت الله على أفئدة المحرومين

فيخايلني الزمن المرصود على حلم الفقراء
وأقول حقيق هذا الفيض بأن يمثل لى وعدا

* * *

ويدور الزمن يدور يدور يدور
لكن سنين الملك السبع المحنيات الظهر
لا يحصهن الحصر وما من عام ينبى عن سانحة العصر
وإذا بالوعد سطور فى سفر مكذوب
لا شحم يغادي اللحم ولا شهدٌ يغوي بحليب
وإذا بالكون سماوات ما تفتأ تمطر موتا
يتمخض فيها البرق فتعلو فوق الأرض النار
وإذا بفضائيات الكون تدار
بأياد فى أروقة البيت الأبيض
ووراء قلاع متأبية فى أبهاء البنتاجون
وإذا بالخلق رعايا فى مملكة العهر
وسبايا فى مملكة القهر
وضحايا فى ملكوت الكذابين

ديسمبر 2005

تغربت فى عينيك

تغربتُ فى عينيك علّ سفائني
على شاطئ الفردوس تلقى المراسيا
حلمتُ به مرسى وللموج عاصف
وللريح أنواء تلوح أماميا
وفى القلب أشتات من الخوف والمنى
تعوذت فيها أن يخيب رجائيا
وبالنفس أشواق يجن سعيرها
إذا الموعد المأمول أضحى تنائيا
عجبت لسلطانٍ بعينيك قادرٍ
من النظرة العجلى يشد وثاقيا
وكان فؤادي قبل عينيك غافلاً
عن الألق المنداح بالسحر لاهيا
فأضحى وقد أغريت فيه شجونه
فبات إلى دنياك لهفان صاديا

يـود لـو اسـتغني عـن الحلـم بالرضـا

وعــن لوثــة المشــتاق بالوصــل دانيــا

إذا مــا تناهــت نظــرة منــك نحــوه

تــداعت لــه الــدنيا نعيمــا مواتيــا

وان غادرتـــه لفتـــه لا تصـــيبه

مضــى بفــؤاد لفــه الحــزن طاغيــا

يمــوت ويحيــا بــين لحظــيٍ ولفتــهٍ

كشــأن غريــقٍ عــانق المــوج طافيــا

فيــا بارقــا مــن نــور عينيــك هاتــه

شــعاعاً إلى درب المنيـــبين هاديــا

وعــد بي إلى نبــع المســرات أرتــوي

وحســبى بريـــاه رحيقــا وســاقيا

إبريل 2006

الأسئلة

ذهب العمر وولى
وتناهت بى غوايات المني مرتحله
واستبدت بالخطى أوزارها
وغفت فوق تقاويمي ارتعاشات بكائى
والتوت بى عائدات للمدي الموحش أصداء غنائى
وضراعات السنين الوجله
غير أني لم أزل أبصرها
فى عتامات الرؤي مشتعله
وكأن الزمن الموغل لم يُود بها
فورةُ النار وجَوْرُ الأسئلة

* * *

هذه أسئلة أظمأتها
كي تبارِي السنة العجفاء أن تورق فى القيظ وعودا
تلتقى فيها بأعراف اليقين
وتواتي بالذى مارت به عبر السنين

ما يزال الفكر ينثال بها
سفراً مضني على متن سحابات كذوب

* * *

هذه النار التى أحملها بين ضلوعي
يترامي بى لظاها
حينما تنغلق الآفاق تقصيني عن البوح المبين
حينما تجأر فيَ الأسئلة
نافراتٍ من حنايا الروح تستجلى الذى غمّ عليَ
كلما وجهت وجهي
كلما يممت خطوي
لم أجد بوحاً يضئ الدرب نحوى
لم أجد إلا غمام الأسئلة
والإجابات التى تنساح بى مرتحله
بأقاويل تمارى
بغوايات صدى مرتجله
من سماوات مهيضات عقيم
ليتها تمطر يوما
علَ هذا المطر المرجوَ يدني لى من البوح مرايا
أتملاها بروقا

تنزع الظلمة عن أسئلتي الحيرى
فتنجاب الخفايا

* * *

حينما أستقرئ الأسباب كيما
تفتح الأبواب تفضى بى لأضواء الشموس
كانت الأسباب تفضى بى لأفقٍ
ظامئ كابٍ ظلاميٍّ عبوس
معجم يرتاد حدَّ الصمت حيناً
أو يشى بالفكرة الحمقاء ما طافت بأعراف الكلام
أو يدا جيني بليل
موغلٍ فى العتمة العمياء لا ينداح للصوت المندى فى المآذن
وأنا ما زلت أمضى
حاملاً مصباحى الموهن أرتادُ دروباً موحله
وأغاديها بفيضٍ
مستثارٍ من جنون الأسئله
يلهج الصدق على أحرفها
مثل آيات كتاب منزله
يا لها من لمع أشقى بها

مثلما يشقى غوىً بفتون
حطه طلسمها بين رحىً
تطحن اللب وأوزار الجنون

* * *

يا لها من رحلة مضنية
نحو هذى الجزر المطموسة الأبعاد فى قلب الغمامه
أسأل البرق بها
لو يواتيني بما يطفئ فى القلب ضرامه
أو يريني قومة للميت الساجي إلى يوم قيامه
مدرجاً فى كفن مستعصم
بالأحاجي والأراجيف وما
يطفئ الفورة فى نار احتدم الأسئله
يا لها من ....
أخرس الظن وباءت بأساها
لغة العشق التى غنيتها منذ سنين

مايو 2006

عقود أربعه

- وقد مضى أربعون عاما على زواج الشاعر -

أكــــذا مـــرت عقـــود أربعـــة ؟
زمـــنٌ يجـــرى بنـــا مـــا أســـرعه
ســـكن الـــبرق زوايـــاه كمـــا
تســـكن الـــريح زوايـــا الأشـــرعه
أكـــذا تعجـــل دنيانـــا بنـــا
لا نعـــى وقـــع خطاهـــا المســـرعه
وإذا العمـــر تـــواريخ مضـــت
لـــيس يـــدرى ضـــائع مـــن ضـــيعه
بـــين أشـــتات مـــن العـــيش يُـــرى
مقتـــرا يومـــاً ويومـــاً فى ســـعه
طـــائر الوقـــت أســـتوي يحملنـــا
دائـــم الصـــبوة موصـــول الدعـــه
زمـــنٌ طـــارت بنـــا أحلامـــه
فتســـاقيناه كأســـا مترعـــه
وســـعدنا بهـــداياه ومـــا
صـــبَّ فى صـــفو الليـــالى متعـــه

وبمـــا الشـــوق إذا طـــاف بنـــا

يتـرامـــى فى المـــدي مـــا وســـعه

وطربنـــا حينمـــا هـــام بنـــا

فى مـــدي العشـــق غنـــاء وقـعـــه

وسمعنـــا فى صـــداه نغمـــا

يطـــربُ القلـــب إذا مـــا رجَعـــه

وبلونـــاه تجاريـــب عـــوت

خلفهـــا فى كـــل أفـــق زوبعـــه

هكـــذا عشـــناه مـــا نملكـــه

ســـاحة الصـــبر ولاشـــيء معـــه

مـــا شـــكوناه ومـــا ضـــقنا بـــه

ورجونـــا إصـــره أن يضـــعه

ولقـــد نغـــدو ومـــا يربعنـــا

غـــير آمـــال حســـان طيعـــه

ربمـــا حـــدثني اليـــأس مـــدي

ولقـــد آليـــت ألا أسمعـــه

ورفيـــق الـــدرب ألقـــاه معـــي

مثلمـــا الناســـك خلـــف الصـــومعه

صابرا مستعصما محتسبا

طاوياً خلف أساه أضلعه

لا يريني منه ما أشقى به

حين تمضي بى الليالى الفزعه

حاملاً وقراً إذا يحمله

ذو موازين ثقال وضعه

حسبه من نعمه الستر رضى

ومن الدنيا قليل أقنعه

هكذا عشنا وما تلوي بنا

لغة الزور وزيف الأقنعه

أكذا مرت عقود أربعه

يا لها من ذكريات ممتعه

إن بجدواها التى نغني بها

أو بما جور الليالى صنعه

مايو 2006

فراشــه

ما بين وردة وزهرة وفلة ونرجسه
ومهرجان نشوة وسط الرؤي المؤتنسه
أبصرتها - عشقتها أميرةً فراشه
تناهت الألوان فى ظلالها
كأنها حديقة وارفه البشاشه
تنقلت بين الغصون فى خطى رشيقه
تعانق المدي الطليق تسبق الخيال
ويرتمي فى حضنها الوثير موكب الظلال
ويستبى انداياحها المراح فى الحديقه
كل الرؤي المفتونة الأنيقة
فى الأعين المشوقة الصديقه
حسبتها من طول ما رأيتها
تحادث الزهور والطيور والعطور
فى لغة مثيرة ومنطق أثير
عاشقة رهيفة رفيفة الجناح

تبعثر الأفراح فى نسائم الصباح
ويستحيل عشقها روحاً من النغم
ما حازه من قبلُ ناطق بغم
قلت حقيق أن ترى
فى العشق مولاة الفنون والفتون
من تشعل الصبوة ناراً فى صدور العاشقين
ومن تبادر الشموس باقة من الرؤي الملونة
ومن تناغم العبير فى ائتلاق ألف سوسنه
لكننى رأيتها
معجبة بنفسها مزهوة بروعة الرداء
لاهية عن العيون تجتلى مفاتن الضياء
شاخصة بأنفها للشمس فى السماء
تطلعت إلى أندفاق السحر فى العيون
والألق المعقود محفلاً من الفتون
ظنت بأن العالم استحال دونها
دنيا من العبيد والإماء والخدم
وأنها روح شريدة فريده
وأنها مصوغة من طينة جديدة
وأنها مليكة متوجه
تعنو لها المشاعر الحسيرة المختلجه

راحت تشيد من تناغم الألوان والأغصان والظلال
معبد عشق باذخ لصولة الجمال
وبادرت تعبد ذاتها الفراشه
بروح صفوان معاند بليد
وقلب ذئب كاسر مراوغ عنيد
لا حس .. لا خفق ولا ارتعاشه
ولا مني تنهلَ بالبشاشه
ورحت وسط حيرتي الذاهلة المشوشه
أسائل الرياح والبراح
فى نبرة كسيرة مرتعشه
عاشقة الزهور والعطور والطيور
ما بالها
كأنما اعتلت بريقها عتامة من الصدا
خبا وحال لونه وضاع فى المدي
ثم هوت عن عرشها المليكة الفراشه
تهيب بالزمان أن يعيد دورته
لتستعيد فى الوجوه لحظة من البشاشه

مايو 2006

إلى غادرة

حملت بشاشاتها فى دمي
غداة سرى العطر فى البرعم
وخبأت أشواقها فى ضلوعي
أطير بها صوب أفق ظمى
وأجلت أفراحي الوارفات
إلى موعد واعد مُنعم
تهادت من الأمنيات العذاب
وآبت إلى شرفة فى دمي
وقالوا ظمئت إليها سنيناً
فقلتُ على طائر مغرم
وقالوا أنتشيت بها صبوة
لوجد تمادي وسهم رُمي
فقلت مضت بى على دربها
ليال من السهد لم ترحم

ظللـــــــــت أراقبــــــــــها وردة

علـــى محفـــل الـــورد لمْ تـــتمم

تطـــيش الحـــروف علـــى ثغرهـــا

طفوليـــــة بعـــــدُ لم تفطـــــم

أحـــــاذر أن تفتريهـــــا العيـــــون

وأدفـــــع بـــــالكف والمعصـــــم

إلى أن غـــــدت بضـــــة غضـــــة

وريـــــا كنـــــا كهـــــة الموســـــم

ولمـــا تهيـــأت أجـــني العناقيـــ

ـــد مـــلء اليـــدين ومـــلء الفـــم

وأن أرد النـــــهر كـــــي أســـــتقى

علـــى ظمـــأ فى الحشـــا مضـــرم

تبـــدت لقلـــبى مـــن صـــوبها

معـــالم مـــن قبـــلُ لم تعلـــم

عقـــوق ونكـــران ود وصـــد

وتغريبـــة فى مـــدي مبـــهم

وعصف مع الريح أني تروح
وزور بأوزاره يحتمي
كأني زرعت المنى في الصحاري
وأرخيت فيها الندى من دمي
فلم أجن غير انكفاء المواعيـ
ـد لم أجن غير صدى العلقم

* * *

فيا سورة لاشتعال الجنون
ويا قصة الوهم والواهم
لماذا أتجاسر فيك الجموح
على زمن بالمنى مفعم
فأنزلته من مراد النجوم
إلى موطئ فى براح عمي
رهينك خلف الأسى مُغْلَم
إذا الغدر أفضى إلى معلم
لقد كان صدقا فبادرته
بأكذب ما قر فى معجم

وهدمتَ كل ضحي قبلة

متى شئت بالغدر أن تهدمي

وقد كان وعداً وكان ارتحالاً

إلى سدة النور لم يسأم

إذا شئت أن تفخرى كان زهواً

وشأواً إذا شئت أن تكرَمي

وكان الصديق الرفيق الوثيق

إذا انداح فى قوله المحكم

* * *

ستدرين يوماً إذا ما تولى

إلى سفر فى مدي معتم

وأبحر فى سفن لا تئوب

وأوغل فى نفق مظلم

بأنك بعت زماناً جميلاً

بما شاء وهمك أن توهمي

فعودي لشعر تداعي به

من النهر والبحر والأنجم

غـــداة جـــرت فيـــه أحلامـــه
علـــى طـــائر الشـــوق مجـــرى الـــدم
تـــرى فى مرايـــاه كـــل الـــذى
حلمـــت ومـــا لم بـــه تحلمـــي

* * *

جزيـــت الـــولاء جحـــود الـــولاء
وعُمّيـــت فى ســـكرة النُـــوّم
غـــداً تنـــدمين علـــى مـــا جنيـــت
ولـــيس بمجـــديك أن تنـــدمي

مايو 2006

حزنٌ .. لا يجئ

لم تجئ لى مرة معتذراً
عن ليا ليك المهيضات اليتامي
عن سوافيك التى تنخر فى العظم إذا صفقت يوماً بجناح
نافراً من شفة المحنة موصولاً بأعصابى الكليله

* * *

لم تجئ لى مرة معتذراً
عن تآويلك فى اللوعة والحزن وأنات القلوب المتعبة
عن تماديك الذى أسقطني
من سماواتي التى حلقت فى عليائها
مرسلاً من خفقة فى القلب تنحاز إلى لون الفرح

* * *

كلما جئت تعاوت فى دمائى
ريحك الحدباء وانسلت إلى أوردتي
وجعاً مراً وقيظاً وسعيراً واحتداما
لم تجئ لى مرة تحملني

فوق أطياف مفيضات شفيفه
يصطفيها
ذلك الحزن النبيل المستحيل
وعطاياه التى تنبت فى الروح ظلالاً شفقية

* * *

إننى أنسيت لون البهجة الممراح تنسل لروحي
لم أعد أمهد روحي وحناياى وقلبى
لسوى لفح شفيف مرهف
يوسع القلب لهيباً قدسيا
ومدي يوغل فى الأعطاف تياراً خفياً
يترامي فى ضلوعى
وانكسارات دموعي
مطهراً ينداح فى روحي أنداء وذكراً وصلاه
ذلك الحزن الأثيرى الذى أرقبه
فى تباريحك يوماً لا يجئ
كلما أهللت عصفاً وشآبيب وإعصاراً عتيا
ليس يبقى لي من الأنداء والذكر ولفح النارشيا
هذه النار التى تنضج حس المبتلين التعساء
والتى تمهد فى الروح مهاد الكبرياء

والتى إن آذنت بالمحنة الخرساء أقدار عصيه
ترتقى الروح إلى مرقى عزيز فى السماء
علها تنهل من مشكاتها
مثلما ينهل طير ظامئ
وكما ينهل عطراً
من شفاه الغيم ورد وشقيق ززعر
كان لفح القيظ أرداه قتيلا
علها تأنس يوماً
بصدي يندا ح من فيض التراتيل البتول المؤمنه
ليزيح الوجع المركوم عن وجه الليالى الموهنه
عله ينصب فى اشواقها
صوت موسيقا تناهت من أحاديث القمر
وسرت لحناً رهيفاً
فى ارتعاشات الوتر
وتداعت
لمواقيت ارتقاب الريح والغيم وأنداء المطر

يونيه 2006

المواعيد

"1"

يبتدي الميلاد بالحلم الذى يكبر عاماً بعد عام
ويصير الوعد ميعاداً يُرَجَي
يصبح العمر كتاباً تقرأ الأحلام فيه
ويضيع العمر لما ترتخي
فيه دون الوعد أستار الظلام

* * *

"2"

تعد الناس الفصول
بالذى تحمل كفاها إذا حان الوصول
وفصولى لم تعدنى أبداً
كلما لذت بها مرتجيا
بسوي يبس الأرض وإجداب الحقول

* * *

"3"

أرتجي فى الصيف ما لم يوفني فيه الشتاء
وإذا ما الصيف جاء
أجلولى موعد الوعد إلى مالا أشاء

"4"

كلما أوعد وعداً
وتمنيني المواقيت الرحيبه
أحسب الأيام كي أسلك للوعد دروبه
وإذا ما صار ظلى
قاب قوسٍ منه أو كنت قريبه
برزت لى من ثنايا الوعد أشياء غريبه
وتبدت لعيوني سحن
شائهات الوجه نكراء مريبه

"5"

خلتُ يوماً أنني
أعرف الدرب إلى ميعاد إشراق النجوم
قلت لو أني ركبت الريح واجتزت متاهات
الغيوم
سوف أحصى النجم فى الأفلاك كنزاً من ذهب
لا تداجيني غيوم أو يواتيني نصب
وإذا ما جئت أنساح إلى قلب السماء
وأخوض اللجة الزرقاء موصول الرجاء
عصفت بى موجه حدباءُ من ريح سموم مرسله
عدت أدراجي وأسكنت ارتعاشات المني المرتحله
ونفيت العزم عن متن ذراعي ولملمت شراعي
وغدت كل اشتياقاتي وعوداً آجله

* * *

٦

نبأوني أن خيلا
بارحت أفق المدارات البعيده
لتحيل الأرض من حول فراديس وتعليها جنانا
وتقيم العز في عرض بلادي مهرجانا
وتطيل الناس مما تشتهي مالا يطال
والذى عبر زمان تعس
لم يكن يخطر للناس ببال
وترى الخلق وعوداً
لم يكن يرقى بها
لخيال الخلق من قبل خيال
وأنا من طول ما ارتدت إلى الفكرة الحمقاء لا تمتد بي
لم يعد يغري خيالي موعد أو يستبي حلمي مرام
لم يعد يستنفر العزم ارتهان بمواعيد جديده
ألغيت كل المواعيد وعاد الحلم أسفاراً إلى غيم عتيم
ومضى ذكرى تناهت
من صدي عهد قديم

يونيه ١٩٦٠

غير أني .. ولأني

قال لى فيض ضميرى مرة
أيها الشاعر قد أمللتني
فى حكاياتك عن تلك الدروب المستبده
والتقاء الليل فى نجواك بالظلمه تنداح على الأفق العتيم
كلما تكتب شعراً ينحني
معجم الأشياء فى عينيك كي يرصد إهلال الدموع
لم تضئ لى شمعة يوماً ولا أهللت بى
لصباح واعد بالنور والعطر وفيض الأغنيات
أيها الشاعر قل لى
الينابيع مليئات بدفق الماء والأنسام مرخاة على كل طريق
وشموس الصبح تيجان تباهت بعناقيد الذهب
لم تحدثني سوى عن حرقة الصحراء تغلى بشآبيب الظما
وعن الوقدة تنهل على متن السراب

لم تحدثني عن النسمة تحيي الروح في وقت السحر
وتؤاخي بين أشواق الظماء المدنفين
وندي الصبح الذي ينهل برداً وسلاما
ومسيل العطر أرواح تمادت في الأثير
مثلما ألف جناح بشذى الورد تطير
وتحيل الأرض جنات يغاديها العبير
لم تحدثني سوي عن غيمة في الأفق تنهل قتامه
وعن الظلمة لما غلقت كل الدروب
وعن الصبح الذي يولد في ظل الغروب
أكذا تولد في الشعر تباشير الحياه ؟
قلت يا صاح تمهل بي ولا تعجل بلومي
إنما كنت أغني لتباريحي وهمي
سرت في الآفاق أستجلي أحاديث البشر
علني أرتاد يوماً
سنة تنبت بالدهن تواتي
من أظلتهم ظلال المسغبة
أو مدي يوسع للناس مواعيد الرجاء
أو نداء مرسلاً من صوب أنداء السماء
يهب الفسحة للخلق وينداح بأعراف السكينه
لم أجد ظلاً لما أرجو فعاودت بهمي

وأنا الشاعر يشقيني لهاث الخلق من خلف مقادير شقيَه
وتماري بى السنين الجدب أصداء مواقيت الحصاد

* * *

يا صديقى
أنا مثل الناس لا أنسلُ من طبع البشر
تستبيني النسمة المرخاة بالعطر وأنات الوتر
والعصافير تغني فوق أغصان الشجر
وأرى روحي تصلى
فى مرائى النور والشمس عروس فى السماء
وفؤادي
يستبيه الغيم منهلاً بأفياء المطر
غير أني ..ولأني شاعر
أحضن الظلمة فى جنبيَّ كي أرقى بها
صوب وجه الشمس أو صوب مواعيد القمر

يوليه 2006

حلم ليلــة شتائيــه

حلمت أنني أجوب أزمناً معلقه
مديدة نافرة . مهيجه ومطلقه
كينونة الوقت على مسارها
لا يحتويها سانح البدء ولا خطى النهاية
أزمنة تراوح الفضاء كله كأنها سديم
كأنها رياح موسم عقيم
تراخت السماء عن عقالها
فلا تواريخ ولا أحداث لا شخوص
ولا مسار أنجم تحول للأفول
ولا صدى يجول فى أكنة الفصول
أزمنه نبت عن الفضاء واستقل متنها الفضاء
فى رحلة
من لا مكان تنتهي للامكان
حلمت أنني بها
كذرة مقهورة مسيَره

تمضى بها السوانح اللوافح المهاجره
من دون أن تحوز حق الاختيار
لأي صوب فى المدار توسع الفرار
حلمت أننى بها مضيت أسأل المدي
بكل ما يحوز من معالم الرؤي المضببه
عن أرضى التى استحلها صدي السنين
عن اسمي الذى جهلت كنيته
وعن عشيرتي التى ضللت عن خيامها
وعن مواقيتي وعن ملامحي
عن سمت جلديَ الذى يمور كل ليلة بلون
أبحث عن غمامة مسافره
وظل بئر كي ألوذ فيه بالذى يتيح لى
سُقيا ظلمئت لو تجيرني
من لفح أسفاري إلى ضلالى المقيم
لكنّ صوتاً لا يجيبني
لا يحتويني فى رحابة المدي
كأنما أحادث الصدي
وأستثيِر حس غيمة ملبده
وأشتكي لصخرة صماء موصده
وفجأة صحوت

لحظتها أحسست أنني
أسقط من عوالق النجوم
إلى مدي هاوية سحيقة غشوم
كأنها بئر بلا قرار
لحظتها أدركت أن ما استباحني
وأن ما غشى مدي رؤاى
ما كان غير غفوة سقيمة مرتعشة
وغير حلم ليلة مقرورة مشوشة
وخاطر يمور فى رؤاي من سنين

يوليو 2006

سقوط القمر

"هل كان شاعرا ؟!"

أنا مثقل بالأسى يا صديقى
حزين حزين حزين حزين
لأن الذى كان ما بيننا
وعود لنمضى فى رحلة للقمر
نصادق فيها النجوم اللواتي
يضئن لنا عتمات الدروب
لأن الذى كان ما بيننا
كتابٌ من العشق نقرأ أوراده فى التصافى
صباحاً إذا انداح فى القلب بعد الصلاة
نسيم التقاء النهار الوليد
بفرحة طفل إذا هل عيد
وليلاً إذا ما أردنا نجوب أماسى الغناء
ونسمر فى هدأة السحر المستهل
مع النور مستبقاً من هلال جديد
لأن الذى كان ما بيننا
كما كان بين انديا ح الرياح

لتوقظ فى رئة الجدب فيض المواسم
وبين ائتلاق الجني وارفا فى الغصون
لقد كان هذا شعورا دءوبا
لعلى إذا جئتَ أبديه ما وسعتني الحروف
ولكنني شمت فيك ارتياداً لدرب مريب
وطوفاً يهاجر صوب مراحٍ جديب
وكنت أظن بأن مدي صولة الشعر فيك تشى بالنبوءه
وتوحي إلى الكون ما يستهل بوحي السماء
وكنت أظن بأنك من سدة الشعر تدني خُطي الأنبياء
وأنت الذى شئت بالحب يوماً
تجاذب فى الكون كلَّ غيوم المطر
لتنداح فى الأرض غيثاً وسقيا
وموعدة لا فترار الينابيع للظامئين

* * *

تصورت يا سيدي أن هذا الذى قلت كان يقيني وظني
لأني كمثلك من أمد شاعر
تصورت أن لدي الشعر مقدرة أن يطول السماء
ليزرع فى الأرض من فيضها
نجوماً ووردا وأغصان فل

وظلا يراود فئ السنابل
ولكنني يا صديقى أفقت
من الغفوة المستبدة بالحلم يهتاج فى داخلى
جحيم من الشك والفزع المستريب
إذا انصب فيك تداعي الملاحاة والنفرة المسترابة والشطط
الفائر المستحيل
هنا كان لابد أن تتداعي الأبوة كي يستحيل التنافر فيك
هوناً رفيقا
وأن يُستردُ الطموح الجموح
إلى مرفأ لا تداجيه هوج الرياح
ولكنك اخترت أن ترد النار بالنار والعصف بالعصف أوسع
ما يستطاع النكير
وجردت سيفك تدمي به الشعر والروح مرسلة من سماء
شفيفه
ومن ظل أنداء صبح أليفه
ورحت تنابد عهداً بديداً بليداً
تبر أمنه نقى الشعر واستهجنته القوافى
إذا راح يوَغل فى الهُجْر منطرحاً من تداع سقيم
وكنت تفاخر أنك ذو ألسن فى التهاجي
وأنك لو شئت ذو قدرة

على كل سالفة فى اللجاج
وأنك لو شئت تردي جموعاً
بحد اللسان المريج المهيج
وماذاك بالفخر يا سيدي
إذا ميز بين الرجال الفخور
وكنت أبن نوح غداة أهاب بأن يصطفيك النبى
وآثرت أن تتحدي الأبوة مستنفراً مُصعداً فى التلال
وكنت كما كان إخوة يوسف لما سعوا لاغتيال البراءه
ولما مضوا فى دروب النكال

* * *

لقد كنت أبصرت فيك ارتياداً لزهو المواسم
وفيضا من الأنهر المستهله بالخصب والمرتجاه لساعة أن
يستبد الظمأ
أتذكر كم مرة خضت بى
على متن أرجوحة من غناء العصافير تنداح نحو تخوم
النجوم
وأسمعتني من أغانيك أنشودة من مقام كريم
وكم كنتُ من بهجتي أحتفى
بظلك مثل وليد جديد

أنا المعدم المستباح العقيم الذى لم يلد
ولكنك الآن عدت لتكفر بالحضن والدفء والفرح
المستهيم المقيم
وتلغط فى اسمي بما تدّعيه
يصير إلى سوأة فى الأسامي
تحرّف عن موضع فى الحروف
وتلبسها ثوب من يمترى فى انبلاج الحقيقة
وأعجب إذ عُدت من بعدُ إما التقينا
لتبدو لى فى ثياب صديقه
ورحت لتدني من هامة الشعر كل خيال مهيض
لترجمني بالأقاويل موسومة بالتداعي المريض
ورحت تؤلف فىَ الأغاني
تمثلني قاتلاً للعصافير مستبرئاً من عبير البراعم
وتوغلُ حتى تصورني فى اجتراء غوىّ
كأني مسوق لمثوي أخير
وأنت تثوب لتقرأ فاتحة من كتاب التشفى
نعم يا صديقى
سأرحل حتماً كما يرحل الراحلون
متى حان حيني وحُمّ ارتهاني
وأسدل فوق شعاعي الستار الأخير

وساعتها ربما لن تلاقى
صدى يسعف الوقت كي تستهل بفاتحة من كتاب التشفى
وساعتها ربما تستفيق
على من يغالب صوب الدموع
وفى مقلتيه تضئ الشموع
وفى شفتيه المراثى تقول
لقد عاش عمراً عفيفاً شريفا
يجالد بالشعر كي يسترد اخضرار الحقول
وكي يومض البرق للمد لجين الحيارى
وكي يولد الحرف فوق الشفاه
بريئاً من الزيف والخوف والحقد والموجدة
لقد عاش لا تستبيه المواقيت كى تولج النار فى مقلتيه
وما خايلته المواعيد يوما
لتمنحه حصة من بريق كذوب
فيا من صبأت بملة آبائك السابقين
وأد لجت فى الليل تنداح فى سكك الآبقين
رويدك أقصر فما في الملاحة من بارق ينتظر
وحاذر إذا تهت أن يفتريك سقوط القمر

يوليو 2006

لا عزاء

- في أحداث لبنان وفلسطين أغسطس 2006 -

يا شمس.. يا ريح يا شطآن.. يا سحب
أنعـــي إليــك فقيــداً إسمــه العــرب
قد مات بالسكتة الخرساء حين هوى
بــه إلى النــار مــا تهـوى بــه الشـهب
بتنــا نواتيـــه بالرقيـــا لتحصـــنه
فمـــا تواصـــت بـــه الأوراد والكتـــب
حـــتى عيينـــا فمـــا أجـــدت وســـائلنا
وقـــد تنـــاهي إلى أســـبابه العطـــب
فأســـلم الـــروح مأســـوفاً علـــى زمـــنٍ
مضـــى بـــه واصـــطفاه اللـــهو واللعـــب
ومـــات مـــن قبلـــه في الـــروح نخوتـــه
فـــلا إبـــاء إذا يُرمـــي ولا غضـــب
وعـــاد جثـــة شـــئ مـــنتنٍ عفـــن
لا حلـــم يبقيـــه في الـــدنيا ولا أرب

أبى حليه سواد الطين يحضنه

فعاد للدود والغربان يُنتهب

ولم نجد سعة فى الأرض ندفنه

فلا عزاءُ ولا حزن ولا خطب

ولا دعاء بأن الله يرحمه

فالرحمة المرتجاة اليوم لا تجب

* * *

قد خايلته المعالى أن يخايلها

فارتد عن دربها وارتاده الهرب

وبادلته الدنا يا أمة مسخت

أقدارها وتمادت حولها الريب

كانت لو ان لديها همة سطعت

كالنار يعصف فى أطيافها اللهب

تنداح للألق المرصود فى دمها

يغرى به الفكر والأحرار والنخب

لكنها ارتكست فى ضعفها ومضت

يلوي أعنتها الإذعان والرَهَب

يـا أمــة ضــحكت مــن جهلــها أمــم

ماذا لـديك لكـي تزهـي بـك الحقـب

لا شـــئ إلا التبــاكي والعويــل ومــا

يهــوى اليتــامي إليـــه كلمـــا نكبــوا

فمـا لمثلـك يبقـى فى الحيـاة صـدي

فتســتدير لــه الــدنيا وتحتســب

أغسطس 2006

عَوْدٌ .. إلى خلود

حفيدتي

هأنت قد كبرت يا خلود
وها هو الذى أتي
لكي تفور فورة الدماء بالوعود
أفاض بالذى يلوح فى أهلة البشائر المواتية
وقد نما بمقلتيك ما يمور فى مطالع الصبا
وها هو الذى أتي
يبرعم الزهور فى الصدور
ويكنز العقيق واللجين والفيروز والذهب
من فيض ما زكا ومن جزيل ما وهب
فى كل ما انثني وما انحنى
وكل ما استدار جنة من الجني

---

* فى ديواني "أشواق رحلة العودة" الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة الابداع الشعرى المعاصر قصيدة بعنوان "خلود" أهديت اليها بمناسبة عيد ميلادها الأول فى أكتوبر 1993.

وما تداعي مخفيا ومعلنا
وكل ما استطار فى سمائه لهب

* * *

هأنت توفدين للضياء والسنى
وتقدمين فى خطي وئيدة
لساحة الرغاب والمني
وها هي الأربع بعد العشر تلتقى
بلمعة البوارق المرخاة من أكنة بعيدة
تشى بمقدم الربيع يا خلود
وبالورود بادرت
من قبل موسم الورود
لتسبق الحديث عن مواكب السخاء والعطاء
بما يصب دفقة الشباب فى الدماء
وما يطل باسما وواعداً ومسعدا
من ألق العيون .. من تمايل النسيم بالغصون
يقول يا بشراك يا مخبئ الأمل
فى خفقة الفؤاد والتماعة المقل

ويا مواعد النجوم في حدائق القمر
يرصد عندما يهل في اندفاقه المطر
ميلاد ألف مزنة خصيبة ولود

* * *

هأنت قد كبرت يا خلود
أضفت للزمان فسحة من عمرك المديد
كما أضفت بارقاً من السني
برأس جدك الذي يمور بالحديد والجليد
لا بأس يا صغيرتي
ما دمت تبدئين رحلة التدفق المثير
إلى شقائق النعمان والمرجان والعبير
وتوقظين غفوة الجني على وسائد السحر
وتسكبين خمرة الترصد المهيج
متى تحين اللحظة الرهيفة المؤجلة
لا بأس يا صغيرتي
ما دمت توسعين في المدار هالة القمر
وتكتبين في دفاتر الصباح والمساء
قصيدة ملحونة غناء في وتر

وتمهدين لاكتمال البدر فى السماء
لكي يجود فيضه بما يشاء

* * *

هأنت قد كبرت يا خلود
وما تزال غفلة الطفولة المبرأة
تمور كالنسيم فى الإهاب
ما بين صولة حثيثة لمطلع الشباب
وبين ما يبعثر الحنين فى الذهاب والإياب
وبين سانح مؤجل يخفيه عن عيوننا
تواثب الأزمة القريبة البعيدة

سبتمبر 2006

محمد صالح الخولاني

من مواليد بورسعيد عام 1935 .

تخرج فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام 1963 .

تنشر أعماله منذ بداية الستينات فى الدوريات الأدبية بمصر والعالم العربى .

صدر للشاعر :

- ديوان "ملحمة الشعب البطل" بدولة الجزائر عام 1971 .
- ديوان "تصغى وتقول الموج" عن دار المستقبل عام 1987 .
- ديوان "فى ذاكرة الفعل الماضى" عن هيئة قصور الثقافة عام 1991 .
- ديوان "مملكة البندقية" عن دار آرت بورت عام 2003 .
- ديوان "أشواق رحلة العودة" فى سلسلة الإبداع الشعري المعاصر عن الهيئة المصرية عامة للكتاب عام 2006 .
- ديوان أغنيات وحكايات صغيرة "أشعار للأطفال عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 2006 .
- "الحلم والمؤامرات" مسرحية شعرية فى سلسلة المسرح العربى عن الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996 .
- "أيام الدم" مسرحية شعرية عن هيئة قصور الثقافة عام 2000 .

تحت الطبع :

- ديوان "حديث الماء والنار"
- ديوان "أحلام العصافير" للأطفال .
- "زيارة لبيت القاضي والسقوط" مسرحيتان شعريتان من فصل واحد .
- ديوان رحلة الى الله .

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب
2006/21517

ترقيم دولي I.S.B.N
977-374-233/4

دار الإسلام للطباعة والنشر
050/2266220
012/2614363